تفسير ابن كثير

{ سأل سائل بعذاب واقع } فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقدر استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى : { ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده } أي وعذابه واقع لا محالة قال النسائي : حدثنا بشر بن خالد حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى : { سأل سائل بعذاب واقع } قال النضر بن الحارث بن كلدة وقال العوفي عن ابن عباس { سأل سائل بعذاب واقع } قال : ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : { سأل سائل } دعا داع بعذاب واقع يقع في الاخرة قال وهو قولهم { اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم } وقال ابن زيد وغيره { سأل سائل بعذاب واقع } أي واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله تعالى : { واقع * للكافرين } أي مرصد معد للكافرين وقال ابن عباس : واقع جاء { ليس له دافع } أي لا دافع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى : { من الله ذي المعارج } قال الثوري عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى : { ذي المعارج } قال : ذو الدرجات وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ذي المعارج يعني العلو والفواضل وقال مجاهد : ذي المعارج معارج السماء وقال قتادة : ذي الفواضل والنعم وقوله تعالى : { تعرج الملائكة والروح إليه } قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد وأما الروح فقال أبو صالح : هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناسا قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال عن زاذان عن البراء مرفوعا الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة قال فيه : [فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله] والله أعلم بصحته فقد تكلم في بعض رواته ولكنه مشهور وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى : { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء } .

وقوله تعالى : { في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } فيه أربعة أقوال :] أحدها [أن

المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين وهو قرار الأرض السابعة وذلك مسيرة خمسين ألف سنة هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الأرض السابعة وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة وإنه من ياقوتة حمراء كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الاية : حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا حكام عن عمر بن معروف عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى : { في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسين ألف سنة { وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون } يعني بذلك حين ينزل الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض مقدار مسيرة خمسمائة عام وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن حكام بن سالم عن عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد قوله لم يذكر ابن عباس وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا نوح المؤدب عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس قال : غلظ كل أرض خمسمائة عام وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام فذلك سبعة آلاف عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله تعالى : { في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } .

(القول الثاني) أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق ا هذا العالم إلى قيام الساعة قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى : { في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } قال : الدنيا عمرها خمسون ألف سنة وذلك عمرها يوم سماها ا D يوما { تعرج الملائكة والروح إليه في يوم } قال : اليوم الدنيا وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن الحكم بن أبان عن عكرمة { في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } قال : الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحد كم مضى ولا كم بقي إلا ا D .

(القول الثالث) أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والاخرة وهو قول غريب جدا قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا بهلول بن المورق حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني محمد بن كعب { في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } قال : هو يوم الفصل بين الدنيا والاخرة .

(القول الرابع) أن المراد بذلك يوم القيامة قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس { في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } قال : يوم القيامة وإسناده صحيح ورواه الثوري عن سماك بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : { تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } قال : هو يوم القيامة جعله ا تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقد وردت أحاديث في معنى ذلك قال الإمام أحمد : حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قيل لرسول ا صلى ا عليه وسلّم { في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } ما أطول هذا اليوم فقال رسول ا : [والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا] ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به إلا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان وا أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر العداني قال : كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكثر عامري مالا فقال أبو هريرة ردوه إلي فردوه فقال : نبئت أنك ذو مال كثير فقال العامري : إي وا إن لي لمائة حمرا ومائة أدما حتى عد من ألوان الإبل وأفنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة : إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال : ما ذاك يا أبا هريرة ؟ قال : [سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها قلنا : يا رسول ا ما نجدتها ورسلها ؟ قال : في عسرها ويسرها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه بأخفافها فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخراها أعيدها عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله] فقال العامري : وما حق الإبل يا أبا هريرة ؟ قال : أن تعطي الكريمة وتمنح وتفقر الظهر وتسقي الإبل وتطرق الفحل وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به .

(طريق أخرى لهذا الحديث) قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل حدثنا حماد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى

يحكم ا بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار] وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم وفيه : [الخيل لثلاثة : لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر] إلى آخره ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفردا به دون البخاري من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الأحكام والغرض من إيراده ههنا قوله : [حتى يحكم ا بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة] وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن علية وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال : سأل رجل ابن عباس عن قوله { في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال فاتهمه فقال : إنما سألتك لتحدثني قال هما يومان ذكرهما ا وا أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب ا بما لا أعلم .

وقوله تعالى : { فاصبر صبرا جميلا } أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعادا لوقوعه كقوله : { يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق } ولهذا قال : { إنهم يرونه بعيدا } أي وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع { ونراه قريبا } أي المؤمنون يعتقدون كونه قريبا وإن كان له أمد لا يعلمه إلا ا D لكن كل ما هوآت فهو قريب وواقع لا محالة